أهمية "الأخر" في حياتي تفوق أهمية "الأنا"
أنا هو الأخر والأخر هو أنا
الشرق قدم الديانات والحضارات واخترع العلم ومبادئ الحساب
فماذا قدم لنا الغرب ؟!

نظمت اللجنة الثقافية بشركة بافاريا ندوة ثقافية حضرها كبار الشخصيات والصحفيون والعاملون بالشركة، وتحدث فيها الدكتور اسحق عبيد أستاذ التاريخ والفلسفة، ودارت الندوة حول " موقع أنا من الأخر " من منطلق إن أهمية الأخر تسبق أهمية الأنا، وقد أوضح الدكتور اسحق عبيد هذا المفهوم من خلال عدة أمثلة مشيراً إلي أن الإنسان الذي يزرع أرزاً لابد أن يوجد آخرون لشراء هذا الأرز منه كذلك الصانع الذي ينتج سلعة، فأهمية الأخر في حياتي تفوق الأنا، والسؤال الذي طرحه ودارت حوله مناقشات الندوة هو "أين موقعي من الأخر" وأهمية الأخر وأشار د. اسحق إن مفهوم الأخر ليس فقط الإنسان بل يمكن أن يكون الأخر هو المكتب أو الكمبيوتر أو الجماد كذلك من الممكن أن يكون النبات أو الحيوان والكلمة السحرية التي تؤثر في الآخرين وتجعل القلوب المتحجرة تنبض هي كلمات الحب.

والانا ego تنظر إلي الآخرين والآخرون ينظرون إليِّ لذا فكل "أنا" تحتوي علي "أخر" وكل "أخر" يحتوي علي "أنا" فأنا فاعل ومفعول به في نفس الوقت، لذلك يجب في تعاملاتنا مع الأشياء ومع الآخرين أن نضع أنفسنا مكان الأخر وان نتقبل الأخر كما هو، ونتخلص من "الشماعات" التي نلقي عليها عيوبنا وأخطاؤنا وأن ننظر في المرآة وننتقد ذاتنا، فلابد علي كل إنسان أن يري نفسه من الداخل

ويقوم سلوكه لأن "الأخر أهم للحياة ولي من نفسي" كذلك الاعتياد علي إحترام الأشياء التي من حولنا في عالم الجماد والنبات والحيوان.

ويشير د. اسحق إلي أن الدراسات النفسية أثبتت قدرات نفسية فائقة للإنسان في مواجهة الاكتئاب والمرض، فقد ذكرت مجلة علمية أن شخصاً مريضاً بفيروس خطير استطاع من خلال تصميمه وترديده لعبارة "إن هذا المرض لا يخصني" وقيامه بعملية نفسية تسمي "سلب الألم" أن يتغلب عليه، فقد تحسنت حالته بالتدريج وتخلص من سطوة هذا المرض.

وهناك فارق كبير بين "نقد الذات" و "جلد الذات" فالأولي لابد أن تتم بين الإنسان وذاته بشكل يومي وبأسلوب يؤدي لتهذيب وتحسين السلوك، أما الثانية فهي مرض.. ويجب ألا يتحول نقد الذات إلي شعور بالدونية، بل بالفخر، فمن فضائل المصري القديم انه أول إنسان عرف كلمة " الضمير ".

فنحن أمام العالم نتحدث علي قدم المساواة دون غطرسة أو هيمنة، فالأنا في الشرق هي التي محت أمية حوض البحر المتوسط، والانا في مصر هي التي قدمت التقويم solar calendar فالأنا هي المعمار والبناء ومن يبني لا يهدم والمصري القديم هو أول من عرف مبدأ الثواب والعقاب و الدينونة، وأنه في العالم الأخر توضع روحه في كفة ميزان وفي الكفة الاخري "ريشة" وتعترف الروح أمام الآلهة بما فعلته من خير وما اقترفته من شرور.

ويشير د. اسحق إلي أن الاتجاهات العالمية نحو حقوق الإنسان قد خطها المصري القديم منذ ستة آلاف عام، ولم يحتفظ بها لنفسه بل أعطاها للآخرين، وكل الهجمات والغزوات وفترات الاحتلال التي مرت علي مصر من عهد أشوري إلي بابلي

وفارسي وعثماني وصليبي وبريطاني قد ذهبت وبقيت مصر، فمن يأتي الي مصر فاعلاً يصبح مفعولاً به، واستشهد د. اسحق ببعض عبارات تقول:

ليس في ماضيك شيء تتبرأ منه
وليس في حاضرك شيء تخجل منه
الجد من أصل فرعوني
والأب من أصل عربي
وألام ابنة النيل الكريم

وفي مداخلة للدكتور نادر رياض أشار إننا من خلال تعاملاتنا مع الأخر نتعلم الايجابيات ونتجنب السلبيات، فمن الظالم نتعلم الرفق بالآخرين، ونصل إلي الرحمة والرؤية والمبادئ السامية من خلال رؤيتنا للأخر، وأنا لا أري نفسي إلا من خلال الآخر ومن منطلق منظور الأخر ابدأ في تقويم سلوكي، فأنا أنتج للأخر واكتب كتاباً للأخر، وهكذا، وتساءلت الكاتبة الصحفية ماجدة موريس عن مواطن الخلل في تعاملات الأفراد خاصة السلوكيات السيئة، وأجابها د. اسحق عبيد قائلاً: لقد تغيرت البشرية علي يد عشرة إلي اثني عشر نبياً، وتغيرت سلوكيات ٦ مليارات من البشرية من خلال خمسة أو ستة أنبياء، لذلك يجب أن نتبع مقولة أرسطو " ابدأ بنفسك " واعمل القدوة حتى مع اشد الناس شراسة.

وتساءل الزميل عبد الفتاح أبو السعود عن تأثير المجتمع والبيئة علي العلاقة بين الأنا والأخر، ومدي هذا التأثير، وأجاب د. اسحق: إن البيئة والمجتمع يؤثران بلا شك، فالبيئة هي جسمي وبيتي وغيطي وقريتي والإنسان يحاول أن يتلاءم مع هذه

البيئة والإنسان مثلما هو ابن لأبيه وأمه، فهو ابن لبيئته، وقد أعطي الله الإنسان العقل حتى يستطيع أن يطوع بيئته.

وتساءل الصحفي فؤاد فواز عن الديمقراطية التي تنقصنا في تعاملاتنا اليومية في المجتمع، وأجابه د. اسحق: إن علاج غياب الديمقراطية يبدأ من البيت، فلابد من التعود علي الأسلوب الديمقراطي في الحديث مع الأبناء، فلا ننتظر قراراً جمهورياً حتى نصبح ديمقراطيين، فالإنسان لا يملك إلا لحظته، فإذا أردت أن تفعل الخير فافعله الآن لأنك لا تملك الغد.

وتساءل الزميل أنور عامر عن التاريخ الفعلي للفراعنة، هل هو ستة آلاف عام أم عشرة آلاف عام، وأجابه الخبير والعلامة التاريخي: إن التاريخ يبدأ من الملك مينا لان الكتابة اخترعت في ذلك الوقت، وقبلها كانت مجرد نقوش و١٧الاف عام قليلة كذلك ١٠الاف عام علي التاريخ الفرعوني، وأشار إلي أن كلمة فرعون هي تحريف لكلمة " بر" وتعني المسئول و " عو " وتعني الكبير، أي رب الأسرة، فالمصري القديم هو أول من جسد مفهوم الدولة المركزية واحترام الكبير.

وتساءل الزميل حسن باطة عن نظرة الغرب للمجتمعات النامية وكيفية إيجاد جسر من التواصل دون الوقوع في الإحساس بالدفاع عن أنفسنا أمام الآخرين.

وأجابه د. اسحق عبيد متسائلاً.. ماذا قدم الغرب للشرق؟! فالشرق خرجت منه جميع الديانات السماوية، ومنه خرج إختراع الورق والكتابة، والغرب يعترف بالحضارة الشرقية ولولا كتاب ابن سينا " القانون في الطب " ولولا الخوارزمي والكثير من المبدعين العرب، لما انتقلت أوروبا إلي عصر النهضة ومقابل ذلك ماذا قدم لنا الغرب؟ لقد قدم لنا الماكينات والجينز ومايكل جاكسون ومادونا!!